خلق ليبقى .. الصراع العربي الإسرائيلي

(١)

عندما نشأت الجماعات اليهودية وسعت لتكوين الحركة الصهيونية كان حلمها الأكبر الذي ظل يداعب أفكارها تأسيس وطن قومي يجمع شتاتهم، وعلى الجانب الآخر تحركت مع هذه الحركة أجهزة الاستخبارات الغربية والأمريكية والسوفيتية، كلها تسعى إلى مراقبة ومتابعة هذا التوجه الديني المتعصب، وكل من هذه القوى رأى أن من المصلحة ابتعاد هذه الدويلة عن أوربا الغربية والشرقية في ذلك الوقت، وعن أمريكا طبعًا، وكان أمام هذه الأجهزة عدة اختيارات آسيوية وإفريقية، ولكن هذه العصبة كانت ترغب في فلسطين بالذات لأسباب تاريخية ودينية واقتصادية، ووجد هذا التوجه ترحيبا أمريكيًا بريطانيًا لعدة أسباب أهمها:

- الأهمية الاستراتيجية للمنطقة المحيطة بفلسطين والخليج العربي والعراق، بالإضافة إلى وجود البترول، وبالتالي فإن وجود إسرائيل في فلسطين؛ أي في قلب هذه المنطقة الحيوية؛ له قيمة كبيرة كقاعدة حماية مهمة للمصالح الغربية الاقتصادية في المنطقة.

- أهمية موقعها الجغرافي والاقتصادي والاستراتيجي بالنسبة لكل من القوتين الإسلاميتين مصر وإيران.
- التوقيت المناسب، وبخاصة بعد انهيار الدولة العثمانية واحتلال معظم الدول العربية المحيطة من قبل الدول الأوربية.
- أن قيام مثل هذه الدويلة في هذا التوقيت وفي هذه المنطقة بالذات سوف يثير غضب العرب والمسلمين، فلن يرضوا بهذه الدويلة المزروعة، مما يسهم بدوره في تكوين مزيد من الحروب بين الفريقين، وبالتالي تروج تجارة الأسلحة.
- خيانة بعض حكام العرب والعملاء، الذين كانوا على علم بالمخطط الصهيوني الغربي، والذين سهلوا عملية هجرة اليهود إلى فلسطين، ثم تكوين الميلشيات الصهيونية حتى وصلنا لحرب ١٩٤٨م، والقصة معروفة لدى الجميع، فدخلنا في مسلسلات من الحروب ١٩٥٦م ثم ١٩٦٧م، ثم حروب الاستنزاف ثم ١٩٧٣م، ثم احتلال لبنان، ثم الاعتداء على لبنان العام الماضي، وهكذا استمرت الحروب واستمر بيع السلاح للعرب واليهود.

وفي هذا الصدد فإن بعض التقارير تشير إلى أن ما ضخ من أسلحة في المنطقة خلال هذه الفترة يتعدى خمسة آلاف مليار دولار، أنفقها العرب في التسلح، وأنفق مثلها في تدعيم الكيان الصهيوني، مع

الفارق الكبير في النوعية والكمية بين أسلحة العرب المتخلفة نسبيًا، وبين أحدث الأسلحة التي سلحت بها القوى الصهيونية، وكان من المصلحة لتجار الأسلحة بقاء الوضع على ما هو عليه.

فكيف سيسمح هؤلاء التجار بأن تغلق أبواب هذه التجارة الرائجة المربحة لهم والمشغلة لعشرات الملايين من العمال والتقنيين؟! إذن يجب أن يبقى هذا الوضع مستمرًا.

ومن ناحية أخرى فإن الساسة الأمريكيين يوجهون السياسة الخارجية الأمريكية من أجل افتعال الحروب للسيطرة على منابع الثروة بكافة أشكالها وأنواعها، فيبيعون خلالها أسلحة تقتل عشرات الآلاف من الأبرياء حتى تنهمر عليهم الأرباح بالملايين، ووقفت المؤسسات الإعلامية الأمريكية لخدمة هذه الغاية واستطاعت أن تسيطر على كل شيء في حياة الأمريكيين.

يقول جون جرهام : إن الحضارة الغربية العظيمة قد صنعها علماء أفذاذ مخلصون مثل دنيس بيكر، لكن النظام الرأسمالي أحال إبداعهم العظيم إلى ماكينات إنتاج وصفقات تجارية تتدفق منها ملايين الدولارات على رجال أغنياء استطاعوا توليد قيادات أُسِّسَتْ وخُطِّط لها شعبيًا عن طريق مؤسسات الإعلام التي يديرونها، وجعلوا منهم حكامًا وشركاء معهم في الثروة.

أما عن العالم الآخر فلا يهم ما دامت الفائدة محققة والمصانع مستمرة في العمل وأنابيب البترول تضخ في أرصدتهم البنكية مليارات الدولارات.

فلما لا يستمر الصراع العربي الإسرائيلي إلى الأبد؟!

(٢)

لقد عاش اليهود تحت الحكم العربي قرونًا طويلة دون أدنى مشكلات ولم يمارس العرب ضدهم أي نوع من الاضطهاد، بل إنهم كانوا محل ثقة العرب باعتبارهم أهل كتاب، وحظي الأطباء اليهود بمكانة سامية لدى الملوك المسلمين؛ وفي الأندلس الإسلامية عاش اليهود مع المسلمين تحت مظلة العدل والسلام، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، وعندما سقطت الأندلس اضطهد الأسبان المسلمين واليهود معًا، وخيروهم بين اعتناق المسيحية أو الذبح، ثم بلغ بهم التطرف أن اخترعوا محاكم التفتيش لأول مرة في التاريخ من أجل التخلص من اليهود والمسلمين الذين تنصروا حديثًا! وكان القساوسة يوجهون إليهم أسئلة في اللاهوت، وعندما يخفقون في الإجابة عنها يخيرونهم بين الموت غرقًا أو حرقًا!

obeikandl.com

إن الجندي في الحرب يقاتل أعداءه، ويتمنى أن يفنيهم جميعًا دون نظر للجانب الإنساني، ولو قدر لهذا الجندي أن يتجول في صفوف أعدائه سيجدهم بشرًا طبيعيين مثله، سيرى أحدهم يكتب خطابًا لزوجته، وآخر يتأمل صورة أطفاله، وثالث يحلق ويدندن بأغنية عاطفية... كيف سيفكر هذا الجندي لو تحقق له ذلك؟!

حينئذٍ ربما سيعتقد أنه كان مخدوعًا عندما حارب هؤلاء الناس الطيبين، وعليه أن يغير موقفه منهم.. أو ربما يفكر في أن ما يراه مجرد مظهر خادع، وأن هؤلاء الجنود المسالمين ما إن يتخذوا مواقعهم ويشهروا أسلحتهم حتى يتحولوا إلى مجرمين يقتلون أهله ويسعون إلى إذلال بلاده.

هكذا استطاع القادة والسياسيون والعقائديون أن يحشدوا الأفكار ويجندوا الشباب للحرب من أجل هذه الأفكار التي في معظم الأحوال لن تكون إنسانية في الواقع على الرغم من أنها كذلك من حيث المظهر، ألم تكن أسلحة الدمار الشامل ذريعة للجندي الأمريكي ليقتل آلاف الأبرياء من العراقيين ظنًا منه أن ذلك سيحقق الأمان لأسرته في أوكلاهوما؟!..

ألم ينشأ جيل يهودي كامل على إضمار العداء للعرب.. وبنفس الصورة نحن العرب لم نفرق بين اليهودية كدين، والحركة

الصهيونية وتصرفاتها المتطرفة ضد العرب والمسلمين واستغلالها لليهود للقيام بذلك!

إن المأساة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني وانعكست على المواطن العربي ولّدت في فلسطين والوطن العربي حركات ثورية تهدف إلى القصاص والتحرير والعدالة والمساواة؛ ولكن هؤلاء الشبان الثوار الذين رفضوا الوضع القائم ونقموا عليه صاروا للأسف بعد ذلك رجالاً برجوازيين مترهلين في منتصف العمر أقصى ما يسعون إليه صفقة ناجحة أو عمولة رابحة، انتهت الأفكار الثورية وصار الثوري يحلم بالبيت والحديقة والسيارة وبعطلة سنوية في شاليه خاص على شاطئ البحر؛ لهذا السبب ظهر التطرف كرد فعل طبيعي للضعف العربي، ورفضت كل الحلول المتعددة التي خدعنا بها وكأننا أطفال، يلهوننا باتفاقية مثل أوسلو وخارطة الطريق وغيرها كثير!

والحقيقة أنهم بعيدون كل البعد عن المنظور الإنساني للقضية، فهم وعملاؤهم يكسبون من استمرار الصراع إلى الأبد!

(٣)

الدولة الفلسطينية ضرب من ضروب المستحيل؛ لأنها تعني نهاية الصراع، والجميع لا يريد لهذا الصراع أن ينتهي، حتى بعض

حكامنا العرب يجدون فيه استمرارية لتواجدهم في السلطة، وأنا هنا لست من مؤيدي فكرة دولة واحدة؛ لأنها لن تتحقق لسبب بسيط؛ أن اليهود يقرءون التاريخ والجغرافيا جيدًا، ومع مرور الزمن لن تكون هذه الدولة يهودية، ولكني أريد أن أوجه مجموعة تساؤلات لإيضاح المسألة:

- هل ستسمح إسرائيل بقيام دولة فلسطينية كاملة السيادة وفقًا للقانون الدولي؟
- هل ستسمح لهذه الدولة بالسيطرة الكاملة على أجوائها وشواطئها وترابها؟
- هل ستسمح لهذه الدولة أن تملك القوة الدفاعية المناسبة؟
- هل ستسمح لهذه الدولة بإرجاع اللاجئين الفلسطينيين؟
- هل يمكن أن تؤسس دولة بمساحة أقل من مساحة محافظة عمان في الأردن وبلدية مصراتة في ليبيا؟
- وكيف سيتم ذلك والدولة الخيالية مقطعة الأوصال؟
- وهل ستسمح إسرائيل بتهديد عاصمتها بمدافع هاون إذا تحققت هذه الدولة من بعض مناطقها لقرب المسافات؟

الإجابة البديهية: إنها ستكون بداية نهاية دولة إسرائيل؛ لو سمحت بقيام هذه الدولة، فالذي سمح به اليهود فقط وسعوا إليه هو

حكم ذاتي لمناطق معينة، لا يدخل فيه الدفاع والحدود والخارجية، فستبقى دائمًا بيد إسرائيل، وحتى هذه الدويلة أو الإمارة المانوكية الشكل الفلسطينية المنشأ لم تتحقق، وخلق لها صراعات داخلية، ويزداد تمويلها من الرابحين في استمرار الصراع العربي الإسرائيلي.

ولكننا نتمثل بقول القائل: ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع.

obeikandl.com